حول التواصل الحضاري
بين مصر وبلدان الشرق الأدنى القديم

(مصر وسوريا والتأثيرات المتبادلة بينهما)

دكتور
إسماعيل عبد الفتاح محمد
مدرس آثار وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب بقنا - قسم الآثار المصرية
جامعة جنوب الوادي

دكتور/ إسماعيل عبد الفتاح محمد
مدرس آثار وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب بقنا-قسم الآثار المصرية
جامعة جنوب الوادي بقنا

حول التواصل الحضاري بين مصر وبلدان الشرق الأدنى القديم
(مصر وسوريا والتأثيرات المتبادلة بينهما)

تعد كلاً من مصر وسورية من المناطق الحضارية في منطقة الشرق الأدنى القديم، ذلك الشرق الذي امتدت معالمه الحضارية امتدادا عميقا وواسعاً على الرغم من غلبة الطابع الصحراوي على معظم أراضيه.(١)

ويرجع اهتمامنا الى دراسة حضارات الشرق الأدنى القديم إلى عوامل عدة من أهمها توافر أقدم الآثار والوثائق التاريخية المختلفة التي تعد سجلا مفتوحا لإنسان ذلك الشرق القديم ربما لأكثر من أكثر خمسة آلاف عام تقريباً، فلقد ظهرت بمناطقه المختلفة أقدم وأعرق الحضارات، والتي كانت بدورها مصدر إشعاع حضاري للإنسانية جمعاء، فلقد ساعد إنسان ذلك الشرق القديم ما تلاه من أجيال بشرية على خلق تراثا حضاريا غنياً بالنظم والأفكار والمظاهر والعلوم والآداب والمعتقدات الدينية والنظم الاجتماعية وغيرها.(٢)

وإذا ما تحدثنا عن سورية تحديدا فإننا لا نقصد سورية الحالية بحدودها السياسية المتعارف عليها حديثا، بل نقصد المنطقة التي أطلق عليها ذلك الاسم فى جميع عصور التاريخ، والتى يحدها من ناحية الشرق صحراء العراق ومن المغرب ساحل البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال جبال طوروس فى جنوب الأناضول وجنوبا صحراء شبه الجزيرة العربية، أي أنها كانت تشمل كلا من لبنان وشرق الأردن وجزءا كبيرا من فلسطين،

---

(١) صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، ١٩٩٠،ص ٤.
(٢) على، رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم وخضارته، ١٩٩٧، ص ١١،١٢،١٤.
- فخرى، أحمد، مصر الفرعونية، ط٥، ١٩٨١، ص٢٨٤.
- خليفة شعبان، الكتابة العربية فى دجلة، النشوء والارتقاء، ١٩٨٩، ص ٨.

وربما ذلك ما جعلها في مجمل العصور عرضة لأطماع ما ينشأ في تلك البلاد من إمبراطوريات.(١)

العلاقة بين مصر القديمة وسورية:-

لاشك أن دول الشرق الأدنى القديم كانت متصلة بعضها البعض منذ أقدم العصور سواء من خلال الأطماع السياسية والحروب او للتجارة أو سعيا وراء لقمة العيش والاستيطان، ومصر وسورية آنذاك كانا على اتصال مباشر منذ بدايات التاريخ القديم لكلا البلدين، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد بالضبط تاريخ بدء الاتصال بين سكان مصر القديمة وجيرانهم في سورية، اذ من المعروف أن صحراء سيناء لم تكن في يوم من الأيام عقبة أو حائلا يمنع السفر أو الترحال، خصوصاً وأن سكانها من البدو الذين كانوا دائما ومازالوا حتى اليوم فروعا من القبائل التي تعيش وتتجول في المنطقة التي نطلق عليها اليوم شمالي الجزيرة العربية والأردن وجنوبي فلسطين، ولكن سكان سيناء من البدو كانوا كغيرهم مما جاورهم منذ عصور ما قبل الأسرات يغيرون على البعثات التي تذهب للتعدين سواء للحصول على النحاس أو الخامات المعدنية أو حجر الفيروز، ولهذا نرى في النصوص المصرية ما يشير إلى الحملات التأديبية على البدو المقيمين، وهناك في وادي المغارة فى سيناء كثير من النقوش التي تمثل بعض ملوك مصر القديمة المعروفين أمثال زوسر وسنفرو وخوفو وغيرهم يؤدبون بدو تلك المنطقة.(٢)

هذا، ومن ناحية أخرى وإذا ما تحدثنا عن الطريق البحرى، فيبدوا أن ما كان يتكبده المسافر من مشاق وما يتعرض له من أخطار النهب والسرقة وأهوال عند استخدامه للطرق البرية، ربما ذلك ما جعله يفكر ويفضل استخدامه للطريق البحرى للوصول للبلاد المجاورة التى على الشاطئ الآخر، وفى أسطورة أوزوريس إشارة إلى وجود صلات بين مصر القديمة بميناء بيبلوس (جبيل)، وكذلك هناك من الدلائل ما يثبت أن حكام الأسرة الأولى أرسلوا البعثات لإحضار أخشاب الأرز من لبنان إلى مصر منذ ذلك العهد البعيد، أيضاً لقد عثر فى معبد "بيبلوس" على العديد من الزهريات

(١) فخرى أحمد، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط٢، ١٩٩٠، ص ٥٢-٥٣.

(٢) ERICPEET, T; The early relation of Egyptian and Asia, Journal of the Manchester Egyptian and crienal society, ١٩١٥, p. ٢٧f.

وبعض الأواني الأسطوانية الشكل المهداه باسم الملك "خع سخم وى" من الأسرة الثانية.[١]

ومن الأسرة الرابعة المصرية على الأقل كانت تعيش هناك جالية مصرية فى ميناء جبيل ولقد وجد بذلك الميناء بقايا أحجار لمعبد مصري قديم، عليه بعضاً من أسماء ملوك الدولة القديمة، وكذلك يذكر حجر بالرمو-من عهد سنفرو —الأسرة الرابعة وصول ٤٠ سفينة إلى مصر محملة بأخشاب الأرز من لبنان، ومازال الكثير من تلك الأخشاب باقيا حتى اليوم فى داخل سراديب هرمه بدهشور، ومن العجيب أن تلك الأخشاب ما زالت بحالة جيدة رغم مضى أكثر من ثلاثة وستمائة سنة تقريبا عليها، كما نعرف أيضاً أن السفينة الكبيرة التى عثر عليها عام ١٩٥٤ فى الجهة القبلية خارج هرم خوفو مصنوعة أيضا من أخشاب الأرز التى جيء بها من تلك البلاد .[٢]

مما تقدم يتضح أن الصلة بين مصر وبلاد الشاطئ الفلسطيني أو الشاطئ الفينيقي- كما أطلق عليه- لم تكن إلا صلة تجارية فقط في وجهها الأعم.

أما في الأسرة الخامسة المصرية "٢٥٤٠ق.م تقريبا" نجد في نقوش معبد الملك المصري (ساحو رع) في "أبو صير" نجد مناظر إقلاع وعودة أسطول مصري إلى شواطئ فينيقيا، ولقد اختلفت الآراء حول الهدف من رحلة ذلك الأسطول، فيرجح كثير من المشتغلين بالآثار أن استقبال الملك لهذا الأسطول دليل على أن ذلك الأسطول لم يذهب للحرب أو التجارة وإنما كان في رحلة ودية إلى تلك البلاد، وربما عاد بأميرة من الأميرات لتصبح زوجة الفرعون، ويرى البعض الآخر أن ذلك الأسطول كان محملاً بأسلاب من الآسيويين، ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أننا نجد منظرين يمثلان أعمال حربية في مقبرتين ربما كانتا من أواخر الأسرة الخامسة أو أوائل الأسرة السادسة-غالباً- ما تخص الملك بيبى الأول من الأسرة السادسة حيث نعرف أنه أعد العدة وقام بحملة برية على سوريا وعززها بحملة بحرية[٣]-وذلك المنظرين وجدا أحدهما فى "دشاشة" فى محافظة بنى سويف والآخرة بسقارة، ويمثل كل منهما مهاجمة الجنود المصريين لأحد

---

[١] فخرى، أحمد، المرجع السابق، ص ٥٣-٦١.

(٢) MONTET, P; Byblos et L'Egypt, P. ٢٩-٣٢.

[٣] فخرى، أحمد،ص ٥٢-٦٢.

الحصون في جنوبي فلسطين، وربما كانت تأديباً لسكان تلك المناطق لاعتداءاتهم المتكررة على القوافل المصرية.

ومن الجدير بالذكر أن مصر تعرضت في أواخر أيام الأسرة السادسة إلى فترة ضعف وانحلال وهذا ما نسميه عصر الفترة الأولى التي استمرت طيلة الأسرات من الأسرات السابعة حتى نهاية الأسرة العاشرة، ولقد كانت حدود الدلتا في تلك الفترة معرضة لغزو بعض جماعات من البدو اللذين يأتون عن طريق الصحراء الشرقية وشبة جزيرة سيناء، وفي مثل هذه الظروف لا يمكننا أن نتوقع أن يكون لمصر أي نشاط سياسي أو تجاري كبير خارج حدودها، وعلينا أن ننتظر حتى تعود للبلاد قوتها في الأسرة الثانية عشر" في حوالي عام ٢٠٠٠ق.م تقريباً".

ومنذ الدولة الوسطى ظهرت لنا إرهاصات حربية بين مصر القديمة وتلك البلاد التي في الساحل الفينيقي، وتشير بعض مصادر الأسرة الثانية عشر، مثل النقش الوارد على لوحة "تسو منتو" في العام الرابع والعشرين من حكم الملك "أمنمحات الأول" على أرجح الأقوال والآراء، وهذا اللوح موجود بمتحف باللوفر بفرنسا و "لوحة سوبك خو الذي عاش في عهد "أمنحمات الثالث" * إذ يقص علينا ذلك الـ "سوبك خو" نبأ حملة اشترك فيها في العام التاسع من حكم أمنحمات الثالث، ويذكر فيها سقوط ملك اسمه "سكمم" ويضيف أنه تمت هزيمة البدو وسكان "ريتو".(١)

ونعلم من قصة "سنوهى" أنه كان أحد موظفي البلاط في أواخر عهد أمنحمات الأول مؤسس الأسرة ١٢،وكان آنذاك في حملة على حدود مصر الغربية مع ولى العهد سنوسرت الثالث، ولما وصله نبأ وفاة الملك هرب خوفاً على نفسه حتى وصل إلى سيناء ومنها إلى بلدة "كومى"ومنها إلى "رتنو العليا" وتحتل تلك البلدة جزءاً كبيرا من لبنان، فظل بها وتزوج من ابنة أميرها ويفهم من سياق تلك القصة أن الرسل الملكيين كانوا يسيرون ذهاباً وإياباً بين مصر وسوريا، مما يوضح أن التجارة كانت آمنه ومستمرة كما يتضح أيضاً وجود مصريين كثيرين بسوريا.(٢)

وقبل أن نتحدث عن سورية وعلاقتها بمصر في عهد الدولة الحديثة لابد أن نذكر عصر الانتقال الثاني، ذلك العصر الذي ترك بصمات عريضة

---

* هذه اللوحة موجودة في متحف "مانشستر" بإنجلترا، وعثر عليها "جار ستانج" في أبيدوس.

(١) فخرى، أحمد، المرجع السابق ص٦٥.

(٢) B:ACKMN, A.M; Middide Egyption stories, ١٩٣٨, p.١-٥.

GARDINER, A; Notes on the story of Sinuhe, ١٩١٦, p. ١٧.

في الدولة الحديثة المصرية، فما كما نعرف أنه كان لطرد الهكسوس من مصر ومطاردتهم إلى "شار وهين" وتشريدهم نقطة تحول في العلاقات السورية إذ أدرك المصريين القدماء أن حائط الأمير والبوابات والحصون الأخرى لا تستطيع دفع الغارات العنيفة، فقد كانت إقامة مثل هذه الحواجز تستهدف رد بدو الصحراء فقط، أما إذا عرفت عناصر أخرى غازية طريق الغزو من الشرق فإن هذه المنطقة لم تعد تكفى لتمنع عن مصر الطامعين فيها ذلك لأنها ستتعرض لمثل ما قاسته من مرارة الغزو الهكسوس، إذا لم تغير خطتها وتعرف سياسة جديدة.[1]

لذا نجد أن مصر بعد طرد الهكسوس أبان عصر الدولة الحديثة أقامت حاميات مصرية في الشرق تمتد نقاطها إلى مناطق الخطر، وتعين على ذلك تعيين موظفين لصيانة الأمن إلى جانب حرس الحدود، وكان الهدف من وراء ذلك التوغل شمالا حتى انحنائه الفرات لتأمين المنطقة وسرية بالذات لأنها بوابة مصر، حيث أن أمن البلدين مرتبط منذ القدم بعضه البعض، أو بمعنى آخر إذا تهدد أمن سوريا وسلامتها تهدد أمن مصر وسلامتها أيضاً، بل أنه رؤى من الضروري إنشاء مركز رسمي كعاصمة شمالية سيصير أقرب الموانى المقابلة لقادش تدار منه شئون الشمال.

ومن ناحية أخرى تعد رسائل العمارنة* و من أهم الوثائق التي توضح العلاقة بين مصر القديمة وبلاد الساحل الفينيقى،وكما نعلم أن الإمبراطورية المصرية القديمة وصلت إلى قمة مجدها في عهد الملك "تحتمس الثالث"،ولكي يضمن البقاء أو المحافظة على تلك الإمبراطورية نجده قد استن بعض التنظيمات لحفظ الأمن هناك، لذا ترك كثيرا من حكام الولايات السورية يحكمون أقاليمهم بعد أن اطمأن إلى ولائهم واخلاصهم، وكذلك أحضر تحتمس الثالث عددا كبيراً من أبناء الحكام السوريون ليتعلموا في قصر بمصر لكي يتلقوا العلم مع أبنائه وأبناء كبار الحكام وأبناء علية القوم من المصريين، ولقد كان لتحتمس الثالث هدفه الإستراتيجي من ذلك ف) أن يشبوا أوفياء له عندما يأتى اليوم الذى يرجح فيه هؤلاء الأبناء السوريين إلى بلادهم ويتولوا شئون تلك البلاد، ولقد نجحت نظرة تحتمس الثالث، إذ

---

[1] إبراهيم، بخيت ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، جـ٣، سورية،طـ٣، ١٩٦٦،ص.١٠١-١٠٢.

* عثر عليها فى عام ١٨٨٧ بواسطة احدى الفلاحات ببلدة "تل العمارنة" أخت "أتون"، عددها الاجمالى ٣٧٧ رسالة، لم يتبق منها سوى ٣٠٠، موزعين بين متاحف مصر ولندن وبرلين وباريس، وهى عبارة عن سلسلة من لوحات مكتوبة باللغة البابلية بحروف مسمارية، تحمل خطابات من الحكام الذين تولوا حكم سورية وفلسطين من قبل الملكين، "أمنحتب الثالث والرابع"، أنظر : كونتو، ج، المرجع السابق، ص٧٠٠.

ظل الكثير منهم على إخلاصهم له، وبذلك حفظ ذلك الفرعون الإمبراطورية طيلة حياته، وحتى بعد وفاته أبن حكم الملك "أمنحتب الثاني" وابنه "تحتمس الرابع"، ولكن عندما تولى "أمنحتب الثالث" الذي أتسم عهده بالسلام والعزوف عن الحرب، لذا بدأت الأحوال تتأرجح في أواخر عهده قليلاً، وعندما تولى "أمنحتب الرابع- إخناتون" عرش البلاد ونظرا للصراعات الداخلية التي تمت في عهده، مما كان له أثره في ضعف نفوذها السياسي في الخارج، وعندما هجر "إخناتون"طيبة وأقام مدينته الجديدة المعروفة الآن بآسن "تل العمارنة" تلك المدينة التي أمدتنا بالعديد من تلك الرسائل والتي تخص المراسلات الدبلوماسية بينه وبين حكام الأقاليم خارج المملكة المصرية القديمة.(١)

وفى أواخر أيام الأسرة الثامنة عشر نجد أن مصر قد انتعشت عندما تولى "حور محب" وبالرغم من أنه كان على رأس الجيش فإنه أدرك أم مصر في حاجة ماسة إلى الإصلاحات الداخلية، ويبدو أنه توصل إلى شبه اتفاق مع الحيثيين، فانصرف بعد ذلك إلى إصلاحاته الداخلية التي لمس أن بلاده بحاجة ماسة إليها، ولكن بعد موته وتأسيس الأسرة التاسعة عشر تجدد نشاط مصر بعض الشيء سعت نحو استعادة إمبراطوريتها المفقودة بين بلاد الشرق القديم.

أما في عهد الأسرة التاسعة عشر فنجد أن "سيتي الأول" قد أخذ زمام المبادرة بشن عدة حملات حربية هنالك في تلك البقاع السورية، مستعيدا أو محاولا استعادة سمعة مصر المهدرة وبلاد جده تحتمس(٢) ، ولكن بعد تولى ابنه رمسيس الثاني الحكم تجددت الاضطرابات هناك، فما كان منه إلى أن تحرك لقمعها، ولقد كان ذلك في العام الخامس من حكمه وشهدت معركة "قادش" فصول ذلك التحرك الوطني لذلك الرمسيس الثاني، وكما نعلم أن

---

(١) فخرى، أحمد، المرجع السابق، ص ٧٧٠.

- كونتو، ج، الحضارة الفنيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعير، ١٩٩٧،ص.٦٨

- knudtzon,A;-EBELING, O;- WEBER, O; Die El-Amarna taflen, ١٩٠٧, p.١٥.

- زكى، عبد الرحمن، الجيش فى مصر القديمة، ١٩٦٧، ص١٣٧.

- SCHROEDER, O; Die Tontafelen Von El- Amarna, ١٩١٥,p.٢٥.

(٢) EDGERTON, JNES;١٩٤٧, P ٢١٩F.

-برستيد، جيمس هنرى، تاريخ مصر منذ أقدم العصور وحتى العصر الفارسى، ترجمة حسن كمال، مراجعة محمد حسنين، طـ٢،١٩٩٧،ص٢٥٤.

رمسيس الثاني بدأ الحرب ضد الحيثيين في عام ١٢٨٩ق.م في سورية.[١]

ويجدر بنا في هذا المقام أن نلقى الضوء بشيء من التركيز على حروب ملوك الدولة الحديثة على شعوب البحر بصفة خاصة، والحقيقة التي لا يغفلها التاريخ ويقدرها حق قدرها هي أن تلك الشعوب الطامعة في مصر القديمة كمحنة الهكسوس أو حروب شعوب البحر إما زالت أو انتهت تماما، تلك الشعوب التي لم يكن خطرها على مصر فقط بل على بلاد سورية والساحل الفيزيقي قاطبة، تلك الشعوب التي أرادت أن تزل مصر فأزلتها مصر بفضل رجالاتها المخلصين، ولقد جاء ذكر تلك الشعوب في مصادرنا المصرية القديمة بدءا من عهد الملك (أمنحتب الثالث) من خلال كتابات "أمنحتب بن حابو" الذي عاش في عهده، وأيضاً جاءت في أربعة مصادر أخرى هي: رسائل العمارنة-أسرة١٨-ونصوص كلا من (رمسيس الثاني ومرنبتاح)- أسرة١٩-ونصوص (رمسيس الثالث)-أسرة٢٠-ومن أهم أسماء تلك الشعوب[٢] وفقا لما جاءت به في ما سبق ذكره من مصادر ما يلي: (لوكا، لوكى[٣]-شردانا[٤]-دانونا[٥]-وشش-بلست-قهق ،قاهاك-كشكش-تحنو-تمحو[٦]-ثكر[٧]-مشوش[٨]).

---

(١) PARKER,JNES;XVI,P.٤٣.

- زكى، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢١٦.
- فخرى أحمد/ المرجع السابق،ص٨٦.
- صالح عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٢٢٢-٢٢٤.
- كتشن، أ، رمسيس الثانى فرعون المجد والانتصار، ترجمة: أحمد زهير أمين مراجعة: محمود ماهر، ١٩٩٧، ص١٠٠،١٠٢.

(٢) WAINRIGHT, G.A:Sea-people and others in the Hittite archive, JEA; VOL. XXVII, London, ١٩٣٥,p. ١٤٨-١٥١.

(٣) GARDINER, A; Ancient Egyptian Onomastica, vol. I, Oxford, ١٩٥٩,p. ١٢٦-١٢٨.

(٤) ERMAN, A; und GRAPOW, H; Worterbuch der Aegyptischen sprache, vol. ٤, Verlin ١٩٧١, p. ٤١٠,

(٥) GARDINER, A; OP.CIT; P.١٢٣-١٢٥.

(٦) GARDINER, A; op. Cit; pp. ١٠٣, ١١٤, ١١٦, ١٢٤, ١٢٧, ٢٠٥.

(٧) ERMAN, A; und GRAPOW, H; op. Cit; p ٤١٠

(٨) GARDINER, A; OP. CIT; P.١١٩.

ولقد جاء ذكر شعوب البحر هذه في نقوش الرعامسة، وتلك التسمية جاءت من تلك النصوص التي أشارت إليها أو ذكرتها على إنها الشعوب التي جاءت من البحر العظيم أو الأخضر العظيم أو الكبير W3D-WR-واج ور[1]" ولقد أطلقت تلك التسمية على تلك القبائل التي غزت كلا من سوريا وبلاد كنعان، واستطاعوا أن ينتصروا على الحيثيين" ويستولوا على عاصمتهم "بوغاز كوى"[2] أما عن أصل شعوب البحر فيرى البعض-وفقاً لما جاء في النصوص المصرية القديمة-أنهم كانوا على مقربة من البحر المتوسط، بينما يرى البعض الآخر أن موطنه هو بحر البلقان، وأنهم كانوا فرعاً من الشعوب الهندوأوربية التي اجتاحت دولة الحيثيين نهائياً.[3]

ولقد جاءت تلك القبائل إلى مصر القديمة بجنودهم ونسائهم وأطفالهم وماشيتهم وأمتعتهم سعياً وراء الاستقرار في أرض جديدة آمنة وخصبة سعياً وراء لقمة العيش، ولقد تصدى لتلك القبائل التي بدأت هجرتها في الدواة الحديثة إلى مصر بدءاً من عهد (أمنحتب الثالث) ثم (رمسيس الثاني) ثم (مرنبتاح) ثم آخر الملوك المحاربين وأعظمهم الملك (رمسيس الثالث).[4]

وإذا ما تتبعنا قصة كفاح مصر ضد تلك القبائل نجد أنه منذ تولى حكم الملك (أمنحتب الثالث)، وذلك مما جاء في نصوص أحد رجالاته وهو "أمنحتب بن حابو" من إشارة إلى أقامه تحصينات على الشاطئ لمقاومة قراصنة شعوب البحر، أيضاً جاء ذكر تلك الشعوب في رسائل العمارنة وهو "لوكت-شردانا-دانونا"، ولقد استفحل خطرهم بداية من عهد (رمسيس الثالث) آخر فراعنة مصر العظام، الذي استطاع الحفاظ على هيبة الملكية المصرية داخليا وخارجيا من الأخطار التي كانت تهددها.[5]

---

(١) SANDERS,N.K; The Sea people warriors of the ancient Mediterranean, London, ١٩٦٨, p.٤٩-٥١.

(٢) WAINRIGHT, G.A; op. Cit; p. ٤٨-٥١.

(٣) ....., ibid; p ٤٧-٥١. WALLBANK, T. W; and TAYLOR, A. M; Civilization past and present, New-York, ١٩٤٩, p.٦٨-٧١.

(٤) HAYES,W.C; The Sceptre of Egypt, vol. II, Gambridge, ١٩٥٩, p.٣٦٥.

(٥) WAINRIGHT, G.A; op. Cit; p. ١٤٨-١٥١.

بدأت قصة الكفاح ضد هؤلاء الغزاة في عهد الملك (رمسيس الثـــاني) الذي في عهده تعرضت مصر لهجوم منهم، ولقد جاء ذكر هؤلاء الغزاة في النصوص المصرية" محاربي الأخضر العظيم"، أي المحاربين الذين أتوا مـن البحر الأبيض المتوسط[1]،ولأسف أن مصادرنا عن تلك الواقعـة العسـكرية تتمثل في أجزاء قليلة من لوحة مهشمة غير مؤرخـة، عـثر عليـها فـي تانيس، جاء بها: ".....شردانا الثائرة قلوبهم .....سفن في وسـط البحـر" ومن ناحية أخرى فلقد سجل رمسيس الثاني على لوحة من العام الثاني مـن حكمه، جاء فيها على لسان (رمسيس الثاني): ".....أهلكت محاربيي ونـامت الدلتا في سلام".[2]

ويوجد في نصوص (رمسيس الثاني) بمعبد أبي سمبل مـا يفيـد أنـه حارب الليبيين "تمحو"، وذلك مع عدم وجود مناظر تؤيد مـا جـاء بتلـك النصوص، وهذا ما يدعو للتساؤل حول إذا ما كانت هذه النصوص جـاءت نتيجة حروب حقيقية أم ليست إلا انتصارات وهمية فقط تعبيرا عـن القـوة والغلبة[3]

تلي الملك (رمسيس الثاني) الملك (مرنبتاح) وفى ذلك العهد اسـتطاعت قبائل "تمحو" من غزو الدلتا، وبدءوا في التوغل التدريجي جنوبا، ولم تكـن قبائل "تمحو" فقط في ذلك الهجوم، بل كان هناك حلفا ضد مصر مكونا مـن "لوكا-شردانا-أقواشا-تورشا-شكلش-مشوش" ولقد جاءتنا تفاصيل هـذه الحرب من نص على الجدار الشرقي لفناء خبيئة الكرنك- محفوظ بـالمتحف المصري- وعمود جرانيتى عثر عليه بالقاهرة بالمتحف المصـري أيضـا، ولوح "أتريب"، ولوح "إسرائيل"، وبالطبع كان الطابع العـام لذلـك الحلـف المناهض هو الاستيطان.[4]

ولقد جاء في نص (مرنبتاح)- كدأب آل فرعون حين يريدون إضفـاء الصفة الشرعية على عمل ما- أنه رأى رؤيـة مقدسـة بواسـطة وحيـه الإلهي،مفادها أن(بتاح)-إله منف-يقف أمامه معطياه إياد سيفا قـائلا لـه: "أقبض على هـذا ولا تكن جبانـا وحـارب هـذه الشعوب "فاشتعل ذلك

---

(١) SANDERS, N.K; OP.cit; p. ٤٨-٥١

(٢) .....; ibid; p. ٤٨-٥١.

-حسن، سليم، مصر القديمة، ج٦، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٣٤-٢٣٨.

(٣) GARDINER, A; OP. CIT P. ١١٢-١١٥.

-حسن، سليم، المرجع السابق، ص ٢٣٩-٢٤٢.

(٤) BREASTED, J. A; History of Egypt, New-York, ١٩٠٩, p. ٤٨٧-٤٨٩.

.....; Ancient records of Egypt, vol. III, Chicago, ١٩٠٦, p, ٢٣٧-٢٤١.

الـ "مرنبتاح" حماسا، وسرعان ما أصدر الأوامر لجيشه ليكون على أهبة الاستعداد، ودارت رحى الحرب التي لم تستمر سوى بضع ساعات أمطر فيها جيش (مرنبتاح)[1]، وتذكر نصوص (مرنبتاح) أنه قتل تسعة آلاف من الليبيين وحلفائهم، واعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه نسبيا، وأيضا لم ينس المصريون القدماء تصوير وقع تلك النكبة على شعوب البحر فصورا زعيم التحالف هاربا في جنح الليل، وقد سقطت ريشته وعز عليه الزاد والنواد، إذ انفض عنه أنصاره، وهو شاب آخر يقول لزميله: "لم يحدث لنا مثل ذلك منذ عهد رع"، وهذا شيخ آخر يقول لأبنه: "وانكبتاه على ليبيا لقد حرم على أهلها المعيشة الطيبة- أي التي في مصر- وما عادوا يجرأون على السعي بين المزارع....."[2]، أيضاً لم ينس فنانو مصر القديمة الإشادة بعودة الأمن إلى ربوعهم بعد تلك الحرب المظفرة، فجاء على لسان الفرعون في "لوح إسرائيل" "أشرق السرور على أرض مصر، وامتدت الأفراح في قرى "تأمري" وتحدث الناس عن انتصارات "مرنبتاح" على "تحنو"... وأصبح الوزير يستطيع أن يسير حرا على الطريق دون خوف.[3]

ثم دارت عجلة الزمن مرة أخرى، وجاء دور المحارب العظيم (رمسيس الثالث) الذي استطاع-كما أسلفنا- أن يصون لمصر كرامتها ويعيد إليها هيبتها المفقودة أما الشعوب الأخرى المجاورة بالشرق الأدنى القديم، فلقد أصبحت حروبه ومعاركه ضد الغزاة مصدر فخر وإعزاز حتى نهاية أطوار الحضارة المصرية القديمة، بل ولعلى أكون مجانبا للصواب إذا ما قلت حتى يومنا هذا.

في ذلك العهد بدأت شعوب البحر تتربص بمصر مرة أخرى، كما حدث أيام سلفه (مرنبتاح) ولكن بصورة أشد ضراوة، أخذت شكل هجرات وتحركات جديدة من الغرب والشمال الشرقي برا وبحرا ومعا، فلم يلبث ذلك الفرعون العظيم من أن يعيد ترتيب جيوشه ويعد عدته ليشن حروبا ثلاثة لا

---

(١) HAYES, M. A; The splendour that was Egypt, London, ١٩٨٤, p. ٢٤٣-٢٤٤.

BRESATED, J. A; OP. CIT; P. ٢٣٧-٢٤١.

-شارف، الكسندر، تاريخ مصر، مترجم، القاهرة، ١٩٦٦،ص. ١٥٧-١٥٩.

(٢) صالح، عبد العزيز،الشرق الأدنى القديم، جـ١، مصر القديمة،القاهرة،١٩٨٥،ص٢٣٩-٢٤٢.

(٣) حسن، سليم، الأدب المصرى القديم، القاهرة، ١٩٤٥، ص ١٦١-١٦٢.

هوادة فيها في أعوام حكمه الخامس والثامن والحادي عشر[١]، وفيما يلي موجزا لأهم تلك المعارك:-

-معركة العام الخامس من حكم رمسيس الثالث: وجد المصريون أنفسهم للمرة الثانية وجها لوجه- كما حدث أيام مرنبتاح- أمام قبائل "مشوش"، بغية التخلص من النفوذ والحكم المصري ومحاولة غزو الدلتا مرة أخرى، فانتهج في بادئ الأمر ذلك الـ (رمسيس الثالث)الطرق السليمة فعين عليهم أميراً ليبياً تربى وترعرع في مصر- كدأب آل فرعون في تربية أبناء الأمراء ورؤساء القبائل وعلية القوم في البلاد المجاورة في قصورهم وتحت كنفهم ليشبوا أوفياء لمصر وفرعونها- إلى أن قبائل "مشوش" رفضت تلك الطريقة فلم يجد (رمسيس الثالث) أمامه بدا من خيار سوى الحرب، واضعا نصب عينيه أن ينهى تلك الحرب لصالحه، وأنه أن هزم فإن هزيمته تساوى الإمبراطورية كلها.[٢]

- لذا نراه قد أعد أسطوله البحرى، وألحق بجيشه فرقا من "شردانا" الذين كانوا يمثلون الجزء الأكبر من سلاح المشاة في الجيش المصري آنذاك[٣] يلتقي الجيشين عند نقطتين متجاهلتين الأولى تدعى "وبت تا- wbt٣١" والثانية تدعى "حوت شعى-Hetscy" وكان النصر فيها لجيوش (رمسيس الثالث).[٤]

-معركة العام الثامن من حكم رمسيس الثالث: ومصادرنا عن تلك المعركة من نص على الواجه الشرقية للجبهة الشمالية للصرح الثاني من صروح معبد مدينة "هابو" الذي شيده ذلك الملك وكذلك إمداداتنا بردية "هاوس" ببعض التفصيلات عن تلك المعركة- فقد وصفت تلك المصادر شعوب البحر هذه-التي كان تتكون في تلك المعركة من "بلست-تورشا-شكلش-دانونل-وشش" بأنها تضمر كل شئ طواه أقدامهم وهم في طريقهم إلى مصر في حين أن أعينهم كانت متجه ناحية الأرض الخصبة- الدلتا-" [٥]

---

(١) PRITCHARD, J. B; The Ancient Near-East, London, ١٩٥٨, p. ١٨٤-١٨٦.
- HALL, H.R; The ancient history of the Near East, London,١٩٦٠, p. ٣٧٨-٣٨١.

(٢) HAYES, W.C; op. Cit; p. ٣٦٣-٣٦٥.

(٣) Montet, p; The lives of the pharos, London, ١٩٦٨, p. ٢٠٦.

(٤) TRAGGER, B.C; KEMP, B.J; and ALLOYED, A.B; Ancient Egypt, London, ١٩٨٥, p. ٢٣٧

(٥) MURRAY, M. A; OP. CIT; ٢٤٤-٢٤٦.

هذا، ولقد أتخذ ذلك الحلف طريقتين من مجيئهم نحو مصر، أحدهم طريق سوريا ومملكة "أمور" الثاني هو الطريق البحري الذي استخدموا فيه الأساطير، ولقد أبلى الأسطول المصري أيما بلاء في المعركة بحرية كانت من جرائها هزيمة أسطول ذلك الحلف المعادى قبل أن يصل إلى الشاطئ وإين ترك الحديث لوصف (نلسون-Nelson) عن هذه الواقعة فيقول أن المصريين وشعوب البحر تبادلوا الرمي بالسهام في عرض البحر ثم حدث تلاحم بين سفن الفريقين في عرض البتر، ثم يذكر فرار الجيوش شعوب البحر، ولقد كان "رمسيس الثالث" قد وضع ذلك فقى الحسبان فوضع على الشاطئ المقابل لمكان تلك الموقعة الحربية الهامة قوة برية بمثابة مؤخرة لجيوش مسلحة بالسهام نراها ما أن فكت أن صوبت أسلحتها الفتاكة نحو فلول أسطول شعوب البحر الهاربة.(١)

-معركة العام الحادي عشر من حكم رمسيس الثالث قد أصر أن يقطع دابر هؤلاء الشعوب الآتية من البحر، لذا نجده فور عودته من بلاد الشام أخذ يعد عدته لحربه الثالثة والأخيرة ضدهم، ولكنه في هذه المرة نراه قد غير اتجاهه فجعله من الناحية الغربية تجاه "ليبيا"، ولقد عرفنا الكثير عن هذه الحروب من المناظر العديدة الخاصة بها على جدران معبد مدينة "هابو" وعلى ما يبدو أن الليبيين لم يكونوا راضيين عن ذلك بعد فشلهم مرتين في صد الجيوش المصرية، الأولى كانت من (مرنبتاح) والثانية مع رمسيس الثالث نفسه، والتي كانت من العام الخامس من حكمه، لذا استجابوا- أي الليبيين-بسرعة لتحريض أبناء عمومتهم "مشوش" الذين أقنعهم بالهجوم على جيوش (رمسيس الثالث).(٢)

أما عن تفاصيل تلك المعركة فلقد جاءت من خلال المناظر والنقوش المختلفة على معبد مدينة "هابو" ولقد كان الحلف بقيادة شخص يدعى "كابور" وأبنه "مشاشار" وما أن ألتحم الجيشان حتى نجت القوات المصرية في أسر "مشاشار" وهذا، مما يدل على انتصار الملك رمسيس الثالث

---

(١) NELSON, H; The naval battle pictured at Medint-habu, JNES; vol. II, Chicago, ١٩٤٣, p. ٣٨-٥٢.

(٢) EDEGERTON, W. F; and WILSON, J. A; Historical records of records of ramsses III, Chicago, ١٩٣٦, p. ٧٣.

عليه[١]، ولقد أشادت النصوص المصرية القديمة- اعتقاد بشيء من البلاغة- لذلك النصر والأسر فذكرت أنه قتل من "مشوش" ما يزيد من ألفين ومائة رجل وأسر مثلهم تقريباً، كما تذكر تلك النصوص أن عدداً من جنود "مشوش" ألتحق بسلك الجندية المصرية[٢]، كما سجلت تلك النصوص، مدى فخر واعتزاز المصريين القدماء فهذا الانتصار الذي يعد انتصارا على أكبر المعارك التي خاضها المصريون القدماء ضد غزو أجنبي منذ أيام الهكسوس، ونظراً أيضاً لأنه بعد نهاية حكم (رمسيس الثالث) بطل هذه الملحمة الشجاعة نجد أنه قد أنهاره الإمبراطورية المصرية في أسيا، وبدأت مصر تدريجياً تدخل في عصر إضرابات وتدهور جديد هو عصر الاضمحلال الثالث.[٣]

ومما جاء وتأكيداً على ما سبق من فرحة ذلك النصر في النصوص المصرية على لسان (رمسيس الثالث) نفسه "... هؤلاء الذين تجرءوا على حدودي ، لم تقم لهم قائمة ، ولم يبق قلبهم ولا روحهم معهم كناية عن الهلع والرعب ــ إنه فرعون ــ أي رمسيس الثالث ــ الذي بدد سحابة الريح التي تخيم على مصر ، وجعل مصر ترى أشعة الشمس بعد أن عانت من الهجرات البربرية، وهو- رمسيس الثالث أيضاً- الذي استطاع أن يخلص منف منهم" [٤]، ومما سبق عرضه بإيجاز يتضح كيف أجبرت مصر هؤلاء الشعوب الغازية من التجرؤ على حدودها سواء البرية أو البحرية، ولا نغفل سياسة التسامح التي كانت من قبل بعض ملوك مصر القديمة التي جعلت لهؤلاء الشعوب دورا لا بأس به في العصور المتأخرة أيضا يتضح أن شعوب البحر كانت خطرا ليس على مصر وحدها بل على الأقاليم السورية أيضا.

وهكذا نرى مما سبق عرضه أنه عندما تولى أخر ملوك مصر المحاربين (رمسيس الثالث) الحكم نراه حصن حدوده السورية وخاض بنفسه أسطولا ضخما، وأحرز ناجحا في وقت زحف أعداءه بالقرب من "أمور" ووصل من الشاطئ الفنيقى، وأنتهت تلك الحملة بانتصار البحرية

---

(١) .....; op, cit;. ٧٣-٧٥.

(٢) KITCHEN, K. A; The ٣ rd intermediate period in Egypt, Oxford, ١٩٧٥, p. ٢٤٣-٢٤٥.

(٣) HALL, H.R; OP. ٣٧٩-٣٨٠.

-PRITCHARD, J. B; cit; p. ١٧٥.

(٤) MONEILL, W. H; and SEDLAR, J. W; The ancient Near- East, London, ١٩٦٨, p. ٢٥-٢٧

المصرية بقيادة ذلك الملك، وبالتالي نجاة الإمبراطورية المصرية بآسيا للمرة الثانية من الخطر الأجنبي.(١)

ثم ما لبثت أن دارت عجلة الزمن وتمخضت عن عقد اتفاقيه بين مصر و "خيتا" كان من جرائها إنهاء هذه الحروب الطويلة ومن حسن الطالع أن وصلتنا نصوص هذه المعاهدة كاملة*، بل ولقد حدث الأثر من ذلك، فلقد أراد ملك "خيتا" ويدعى "خاتوسيل" أن يوثق عرى الصداقة بينه وبين مصر فجاء لزيارتها وبرفقته أبنته ليزفها عروسا لفرعون مصر والملك "رمسيس الثالث" ولقد كان ذلك في العام الرابع والثلاثين من حكمه.(٢)

ولكن الحالة السياسية العامة لبلاد الشرق القديم كانت تسير في طريق أخر ، غير ما قدرته مصر وخيتا، فلقد بدأت في ذلك هجرات هامة هي الهجرات التي تعرف ب "هجرات الشعوب الهند وأوربية" كما بدأت إحدى دول ما بين النهرين وهى "الملكة أشور" تدخل في دور نهضة بعد زوال ملكة "ميتانى"، واحتجت تلك الشعوب الهند وأوربية كثيرا من البلاد وقضت في النهاية على دولة "خيتا" .(٣)

أعقب ذلك انتهاء هجرات الشعوب الهند وأوربية التي هجمت على سورية من الغرب برا وبحرا على يد رمسيس الثالث الذي أنقذها من خطر لا يقل عن غزو الهكسوس ولقد كان لذلك كله أثره المباشر على سورية، إذ انتهت سيطرة كلا من مصر وخيتا السياسية ولم تكن أشور أو بابل قوية لدرجة تسمح لها بانتهاز الفرصة، ولقد كانت النتيجة الطبيعية أن جميع البلاد السورية انقسمت إلى دول ود ويلات صغيرة، كان بعضها يقع على الشاطئ تحت رحمة الشعوب المهاجرة التي استقرت فيها، اختلطت ببقي السكان- وكان البعض الأخر مستقل بنفسه، وفى هذا الوقت نفسه أي بعد انهيار سلطة الدولة الكبرى-هاجرت شعوب سامية أخرى وأخذت تحارب

---

(١) EDGERTON and WILSON; Historica; records of Ramses III, ١٩٣٦, p. ١٩-٢٢.

GURNEY; The Hittites, ١٩٥٢, p. ٥١-٥٥.

* النصان المصرى والحيثى لهذه المعاهدة منشوران فى:

-JEA; VI, ١٩٢٩, p. ١٧٩-١٨١.

(٢) NELSON, JNES, .JNES.١٩٤٣.٤٠-٤٣

- فخرى، أحمد، المرجع السابق، ص. ٦٨-٨٨.
- صالح، عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٣) GARDINER, A; Ramesside adminstrative documents, ١٩٤٨, ٤٨-٥١.

- صالح، عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٢٤٠-٢٤٤.

وتستقر هناك.[١] أما بالنسبة لمصر فبالرغم من زوال نفوذها السياسي واستقلال أمراء البلاد عنها، فإن نفوذها الثقافي والديني كان سائدا في تلك البقاع، وذلك ما تدل عليه قصة الكاتن المصري "ون أمون" الذي قام برحلة إلى "جبيل " لإحضار شجر الأرز اللازم لتجديد سفينته "أمون".[٢]

ومن ناحية أخرى كان لضعف كلا من مصر والعراق وخيتا أثره المباشر- كلما أسلفنا -كما كان لأحداث القرنين السابقين اللذين أعقبا ضعف الإمبراطورية المصرية تأثيرهما المباشر أيضاً، إذ حدث أثنائهما هجرات سامية جديدة بدأت توطد إقدامهما في سورية، وهم "الآرميون ، الفينيقيون، العبرانيون" ومن الجدير بالذكر أن هذه الشعوب لم تكن جديدة على المنطقة، بل كانت فيها منذ قرون كثير، ولكنها بدأت في ذلك الوقت بالذات تدخل في أطوار جديدة وهامة في تاريخ نهضتها.

ولقد كان سكان سورية القدامى بصفي عامة خليطاً من أجناس مختلفة نظراً لموقعها الجغرافي ولكن السكان الأصليين كانوا من جنس البحر الأبيض المتوسط ، لكن امتجزت بهم منذ أقدم العصور عناصر من أجناس مختلفة، أهمهما دون شك العنصر السامي لأن جزيرة العرب كانت على حدود سورية الجنوبية، وكم نعلم أن البدو دائماً يتوق عندما تمر به سنوات عجاف إلى الاستقرار في إحدى المناطق الخصبة الواقعة على حافة صحرائه، وكما ذكرنا آنفاً في إطار حديثنا عن سوريا في عصور ما قبل التاريخ أنها لم تكن كغيرها من بلدان الشرق القديم أهلة بالسكان بالأعداد الوفيرة كما هي عليه اليوم، بل كان هناك متسع لغيرهم، فلما جاءت الهجرات السامية الكبيرة حوالي "٣٠٠٠ق.م تقريباً" فنجد أن "الكنعانيين" وهى التسمية التي وردت في التوراة- فقد استقروا في الغرب كما أستقر الأموريون بعد ذلك في الوسط والشرق بل أن بعض الأموريون نزلوا إلى العراق واستطاعوا بعد قرون عديدة وبعد أن تحضروا أن تكون لهم السيادة على المناطق التي نزلوا فيها وأن يؤسسوا فيها دولاً هناك.[٣]

---

(١) فخرى، أحمد، المرجع السابق، ص ٨٧-٨٨.

-PARKER, Rev. d'e'gyptol, ١٩٥٧, p. ١٦٣-١٦٦.

(٢) SPIEGELBERG, Arbiten und Arbeiterbewegung....unter dem Ramessiden, ١٨٩٥, p. ٨٦.

- فخرى، أحمد، المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

(٣) فخرى، أحمد، مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٦.

الكتابة بين مصر القديمة وسورية

وإن كانت مصر والعراق قد سبقت سوريا القديمة في طريقة التعبير عن أفكارهم عن طريق معرفة واستخدام الكتابة فإن الفينيقيين كان لهم في هذا الصدد مآثر كثيرة على التقدم الإنساني ونشرهم للحروف الهجائية في أرجاء العالم القديم وترجع قصة الحروف الهجائية السورية "الفينيقية إلى عام ١٩٠٥م عندما كان يعمل الأثري البريطاني فلندرز بترى" حفائره" في منطقة سرابيط الخادم بسيناء، عندما عثر على كتابات غريبة على حواف بعض مناجم الفيروز القديمة، ولقد رآها مكتوبة بحروف تشبه في بعضها الأحرف المصرية القديمة بينها البعض الأخر بعيد الشبه عنها، ومن هنا بدأت المحاولات لفك تلك الطلاسم، التي أطلق عليها علماء الطلاسم اللغوية أسم الكتابة "السينائية"، كما أدركو الصلة بينها وبين ما كان معروفاً عن الكتابة الفينيقية واليونانية القديمة، ثم توالت المحاولات لفك تلك الرموز وكان أخرها تلك المحاولة الناجحة التي قام بها العالم الأمريكي "أو لبريت" في العام ١٩٤٨، ويرجع تاريخ تلك النقوش السينائية إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً، وعلى ما يبدو أن الذين نقشوها على حواف

• بالنسبة لأهم الحفائر التي أجريت بسورية فهي حفائر رأس الشمرة، وترجع أحداثها إلى أنه في عام ١٨٨٢ اكتشف أحد الفلاحين بطريق الصدفة البحتة في منطقة تدعى "المنيا البيضا" في شمال سوريا على الشاطئ على بعد ١٤٣كم شمال "اللاذقية"-كشف سرداب تحت الأرض يؤدى إلى مقبرة، فكان هذا الاكتشاف بداية لكشف المنطقة كلها في السنوات التالية، فعثر على بعد ٨٠مترا من الشاطئ على تل يؤدى إليه خليجان من البحر في العصر القديم، ويسمى ذلك التل برأس الشمرة، ولم يمض وقت غير قليل حتى تأكد للباحثون أن هذا المكان ما هو إلا موقع مدينة "أوجاريت" التي وردت في النصوص المصرية القديمة والنصوص الحيثية منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، ولقد عثر في الحفائر على كثير من التماثيل والحلى والفخار وما كان مدفونا في المقابر من الآثار المختلفة، ولكن أهم ما عثر عليه هو ذلك الكم الكبير من اللوحات الطينية الصغيرة المكتوبة بالمسمارية، وكانت هذه البداية الحقيقية والموفقة بمثابة الباعث على استمرار الحفائر سنوات كثيرة بعد ذلك بل مستمرة حتى الآن.

ولقد كانت النقوش التي عثر عليها نقوشا مكتوبة بلغات مختلفة بعضها بالأكدية وبعضها بالمصرية القديمة وبعضها بالحيثية، ولكن عددا كبيرا يبلغ بضع مئات من اللوحات كان مكتوبا بكتابة لم تتضح في بداية الأمر، وظن أنها نوع من الكتابة غير معروف ولكن سرعان ما توصل أكثر من باحث وهم (ميزلو، بلور، دوم) في عام ١٩٣٠ إلى حل لغزها، وذلك بمقارنتها بالأبجدية الكنعانية، ولقد كانت تلك اللوحات الطينية جزءا من كتبة القصر الملكي وقد أضفت دراستها مزيدا من الضوء على الحياة الدينية والاجتماعية في مدينة "أوجاريت" القديمة، وفي هذا الجزء من الشرق كله، وكان أكثر الذي عثر عليه في بداية الأمر أساطير وقصص بطولية عن الإله "بعل" وأخته "عنت" كما تناولت أيضا بعض الآلهة الكنعانية الأخرى، وما زالت تلك المناطق بحاجة الجهد كشفي أثري متواصل، وهذا ما عساه أن يحقق في عصرنا هذا، مما سيميط اللثام عن الكثير من الغموض الذي يكشف تلك الحضارة القديمة.

المناجم بسيناء ما هم إلا العمال والسخرة السوريين الذين كانوا يعملون مع المصريين في تلك المناجم.(١)

ومن ناحية أخرى وبالنسبة لمصر القديمة ومعرفتها للكتابة فإنها بحاجة إلى دراسة مستقلة من المتخصصين في اللغات المصرية القديمة*، لذا سنوجزها في الآتي :-

- ترجع معرفة المصري القديم للكتابة إلى بدايات عصوره التاريخية القديمة، ومع ارتقاء الحضارة واحتياج الإنسان لوسيلة ثانية للتعبير عن أفكاره وتسجيل أحداثه وشئونه، وذلك تمشيا مع تعدد أنشطته ونضوجه الفكري، فنجد أنه أستخدم في بادئ الأمر الإشارة باستخدام أعضاء جسم الإنسان فضلا عن ما تحتويه بيئاتهم من مظاهر طبيعية وبيئية وكونية وحيوانية، ولقد أطلق ذلك المصري القديم على هذه اللغة في نصوصهم فيما بعد مسميات من أهمها "كلام مصر ، فم مصر، كلام الإله"، ودون الدخول في سرد فقه تلك اللغة المصرية القديمة نجد أنهم استخدموا في هذه الكتابة بعض الرموز المعبرة عن مضمون معين وتعبر عن نفسها أيضا، أي تصور نفسها دون أن تكون لها قيمة صوتية، ولقد كتبت اللغة المصرية القديمة بأربعة خطوط هي الهيروغليفية، والهيراوقرطية، والديموطيقية، والقبطية، ومن الجدير بالذكر أن هذه اللغة أتسمت بشخصية مميزة لها استمدادتها من أرض مصر وشعبها.(٢)

وكما نعلم أنه يرجع الفضل في اكتشاف هذه اللغة إلى الكشف العلمي الذي قام به علماء الحملة الفرنسية في مصر بقيادة "شامبليون" الذي تمثل في اكتشاف حجر رشيد، بمدينة رشيد بمحافظة البحيرة عام ١٧٩٩، ولقد كان ذلك الحجر في عام ١٩٦ق.م في عهد الملك بطليموس الثالث، هو محفوظ الآن بالمتحف البريطاني، وهو حجر من البازلت الأسود غير منتظم الشكل ارتفاعه ١١٣سم، عرضه ٧٥سم سمكه ٢٧,٥سم، فقدت أجزاء منه في أعلاه وأسفله(٣) وذلك الحجر حوى مفاتيح اللغة المصرية القديمة، ولولاه لظلت الحضارة المصرية غامضة في طي النسيان إلى تاريخه.

---

(١) فخري، أحمد، المرجع السابق، ص. ٧٠٠-٧٥.

(٢) نور الدين، محمد عبد الحليم، اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٩٨، ص٧-١٢.

(٣) فخر، أحمد، المرجع "سابق، ص ٦٧.

النتائـــج:-

* ومما سبق عرضـه يتضـح أن محور العلاقة بين مصر وسوريا منذ الدولة القديمة إلى الحديثـة كان يرتكز على أساس هام هو أن الدفاع عن سوريـا وتركيـز القوى الحربية فيها يعد دفاعاً عن بوابة مصر الشرقيـة، ولقـد استمرت، هذه السياسة التقليدية متتبعة، إذ على ما يبـدو أن الأمر كله لم يكن غزواً أو استعمارا- كما كان يبدو ظاهريا- بل كان يستهدف تحقيق أمن وسلامة القطرين معاً.
* يقصد بسورية القديمة أو بلاد الساحل الفينيقى تلك المنطقة التى يحدها من الشرق صحراء العراق ومن الغرب ساحل البحر الأبيض المتوسط ،ومن الشمال جبـال طوروس فى جنـوب الأناضول،وجنوبا صحراء شبـة الجزيـرة العربية،أى كانت سورية القديمة تشمل كلاً من لبنان وشـرق الأردن وجـزءاً كبيـراً من فلسطيـن.
* لم تكن صحـراء سيناء ومنطقة شبة الجزيرة العربية حائلاً فى انتقال كلاً من المصرييـن والسورييـن القدمـاء فيما بينهم سواء للعمل أو التجـارة وغيـرها.
* توجـد صلات بين مصر القديمة وسورية منذ الأسرة الأولى من تاريخ مصر القديمـة،حيث ثبت أن ملوك هـذه الأسرة أحضروا خشب الأرز من لبنـان عبـر مينـاء "بيبلوس- الجبيل".
* كان يوجـد بميناء بيبلوس-الجبيل-مجموعات من المصريين المقيمين بسوريـة،ويؤكـد ذلك العثور على بقاية معبد مصرى قديم بجوار ذلك الميناء.
* نشطت التجـارة بين مصـر وبـلاد الساحل الفينيقى، بدليل أن احتلت مناظرها ونقوشهـا بعض المعابد المصرية وخاصة معبد الملك "ساحو رع" من الأسـرة الخامسـة.
* خطر شعـوب البحر لم يكن على مصر وحدهـا بل سوريا أيضاً وبلاد الساحل الفينيقى.
* ومن رسائل العمارنة نعرف الكثير عن الدبلوماسية المصرية السورية، إذ انتهج بعض الفراعنـة سياسة التودد والسلم على الحرب، مما كان له بعده الاستراتيجى الـذى أتى ثمـاره فيمـا بعـد، إذ تمخضت هذه السياسـة على معاهـدة صلح بين مصر وخيتـا، ومصاهرة بين ابنه "خاتوسيلى" والملك "رمسيس الثالث".

* استطاعت الشعوب الهند وأوربية من القضاء على ملكة خيتا، ولكن ظل نفوذ مصر الثقافي والديني وذلك ما نعرفه عن قصة "ون أمون".
* وجود الكتابات السينائية على حواف المناجم الخاصة بالفيروز بسيناء تدل على أن الذين نقشوها ما هم إلا العمال والأسرى والسوريين الذين كانوا يعملون مع المصريين في تلك المناجم،ومن ناحية أخرى تدل على أن النشاط التجاري كان متواصلا آنذاك بين مصر وسورية، كما تدل أيضا أن الصلة بين مصر وبلاد الشاطئ الفينيقي لم تكن سوى صلة تجارية في وجهها الأعم.
* اللغة المصرية القديمة أقدم بكثير من حيث بدأ التعارف والاستخدام في اللغة الفينيقية الخاصة بأهل سورية،فضلا على أن اللغة المصرية القديمة أتسمت بشخصية مميزة لها استمدتها من أرض مصر وشعبها.

المراجع العربية:

* إبراهيم، نجيب ميخائيل،مصر والشرق الأدنى القديم، ج٣، سورية، ط٣، ١٩٦٦.
* بكر،محمد إبراهيم،صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة، ط٢، ١٩٨٧.
* حسن، سليم، الأدب المصري القديم، القاهرة، ١٩٤٥.
* خليفة شعبان،الكتابة العربية في دجلة النشوء والارتقاء، ١٩٨٩.
* زكى، عبد الرحمن ، الجيش في مصر القديمة ، ١٩٦٧.
* صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول ، مصر والعراق، ١٩٩٠.
* صالح ،عبد العزيز،الشرق الأدنى القديم ج١، مصر القديمة، القاهرة، ١٩٨٥.
* على،رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ١٩٧٧.
* فخرى، أحمد، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط٢، ١٩٩٠.
* فخرى، أحمد، مصر الفرعونية، ط٥، ١٩٨١.
* نور الدين، محمد عبد الحليم، اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٩٨.

المراجع المعربة :-

* برستيد، جيمس هنري، تاريخ مصر منذ أقدم العصور وحتى العصر الفارسى، ترجمة حسن كمال،مراجعة محمد حسنين، ط٢، ١٩٩٧.
* شارف، الكسندر، تاريخ مصر، مترجم، القاهرة، ١٩٦٦.
* كتشن، أ،رمسيس الثاني فرعون المجد والانتصار،ترجمة: أحمد زهير أمين مراجعة: محمود ماهر، ١٩٩٧.
* كونتو، ج،الحضارة الفينيقية،ترجمة :محمد عبد الهادي شعير، ١٩٩٧.

المراجـــع الأجنبيـــة:-

BERSATED, J.A; ANCIENT RECORDS OF Egypt, vol. ١١, Chicago, ١٩٠٦.

..... ,J. A, History of Egypt, New-York,١٩٠٩.

BLACKMN, A. M.; Middlde Egyptian stories, ١٩٣٢.

EDGRTON, JNES;١٩٤٧.

EDEGERTON, W. F, and WILSON, J. A; Historical records of ramsses III. Chicago, ١٩٣٦.

EDGERTON and WILSON; Historical records of Ramses III, ١٩٣٩.

ERMAN, A, und GRAPOW, H, Worterbuch der Aegyptischen.vol.٤, Berlin ١٩٧١.

ERICPEET, T; The early relation of Egyptian and Asia, Journal of the Manchester Egyptian and crienal society, ١٩١٥.

GARDINER, A; Ancient Egyptian Onomastica, vol. I, Oxford, ١٩٥٩.

GARDINER, A; Ramesside adminstrative documents, ١٩٤٨.

GARDINER, A; Notes on the story of Sinuhe, ١٩١٦.

GOEDICKE, H; JEA; ١٩٥٧,١٩٦٥.

GURNEY; The Hittites, ١٩٥٢.

HALL, H. R; The ancient history of The Near East, London, ١٩٦٠.

HAYES, W. C, The Sceptre of Egypt, vol. II, Cambridge, ١٩٥٩.

HAYES, M. A; The splendour that was Egypt, London, ١٩٨٤.

KITCHEN, K.A, The٣ intermediate period in Egypt, Oxford, ١٩٧٥.

KNUDTZON, A; - EBELING, O,- WEBER, O, Die El-Amarna tafeln, ١٩٠٧.

MERCER, S. A. B; The Tell El- Amarna Tablets, ١٩٣٩.

MONEILL, W.H, and SEDLAR, J. W, The ancient Near-East, London, ١٩٦٨.

MONTET, P; BybLOS ET L' Egypt.

MONTET,P; The lives of the pharos, London, ١٩٦٨.

NELSON, H; The naval battle pictured at Medint- habu, JNES; vol. II, Chicago, ١٩٤٣.

PARKER , JNES; XVI.

PARKER, Rev. d'e'gyptol, ١٩٠٧.

SANDERS, N. K; The Sea people warriors of the ancient Mediterranean, Lond ١٩٦٨.

PRITCHARD, J. B; The Ancient Near-East, London, ١٩٥٨.

SCHROEDER, O; Die Tontaflen Von El-Amarna, ١٩١٠.

SPIEGELBERG, Arbiten und Arbeiterbewegung.....unter dem Ramessiden, ١٨٩٥.

TRAGGER, B. C; JEMP, B. J; and ALLOYED, A. B; Ancient Egypt, London, ١٩٨٥.

WALLBANK, T. W; and TAYLOR, A. M; Civilization past present, New- York ١٩٤٩.

WAINRIGHT, G. A; Some sea- people and others in the Hittite archives, JEA; vol. XXVII, London, ١٩٣٥.